

الدكتور جيم سبيجل، فلسفة الدين، الجلسة الثامنة، نظرية المعرفة الإصلاحية

جيم سبيجل وتيد هيلدبراندت © 2024

هذا هو الدكتور جيمس سبيجل في محاضراته عن فلسفة الدين. هذه هي الجلسة الثامنة، نظرية المعرفة الإصلاحية.

حسنًا، لقد تحدثنا كثيرًا عن المبررات العقلانية للإيمان بالله والحجج المؤيدة للتوحيد.

الآن سنلقي نظرة على نهج مختلف بعض الشيء في التعامل مع مسألة عقلانية المعتقد الديني، والذي شكّل في الواقع تغييرًا كبيرًا في الاتجاه في تاريخ الدراسات والفلسفة الدينية في القرن العشرين، وهو نظرية المعرفة الإصلاحية. والمؤيد الرئيسي لهذا النهج هو ألفين بلانتينجا. لذا، إليكم القليل من التاريخ الذي أدى إلى ظهور بلانتينجا.

في محاضرة أخرى، ذكرنا مدرسة فكرية تُعرف باسم الوضعية المنطقية. وكان يرأسها أشخاص مثل موريتز شليك، الذي لا بد وأن يكون اسمه أبشع اسم في تاريخ الفلسفة، كما أُطلق على مدرسة أخرى في العشرينيات من عمرها اسم "حلقة فيينا" في عامي 1917 و1918 عندما بدأت. وكان هدفهم إعادة الفلسفة إلى الأرض.

لقد ظهرت في القرن التاسع عشر أشكال كثيرة من المثالية الميتافيزيقية، ولا يزال الكثير من العلماء يدافعون عنها في أوائل القرن العشرين، وكان هؤلاء الفلاسفة في دائرة فيينا وغيرهم من العلماء من أمثالهم يريدون تقليص الفلسفة إلى نوع أكثر علمية من الأساس القابل للتحقق والمحترم والعملي. لذا، ما فعلوه هو أنهم ابتكروا ما يسمى بمبدأ التحقق، وهو فكرة مفادها أن أي بيان أو اعتقاد يجب أن يكون قابلاً للتحقق من خلال التأكيد التجريبي أو الاختبار، وأن أي شيء لا يمكن التحقق منه علميًا أو إثباته تجريبيًا يعتبر خارج الحدود أو غير قابل للمعرفة. ومع تطوير الوضعيين لهذا النهج، أصبح أكثر نفوذًا، ومن بين العديد من الآثار المؤسفة للوضعية، بالطبع، أن المعتقدات حول الأخلاق والجمال والله، والأرواح البشرية، تصبح بلا معنى تمامًا بدون أي قيمة معرفية.

لقد استغرق الأمر بضعة عقود من الزمن قبل أن يتم التأكيد على المشاكل المتأصلة في الوضعية بشكل صحيح بحيث يمكن رفض هذه النظرة في النهاية. ولكن في غضون ذلك، أصبحت الأفكار الوضعية شائعة للغاية بين العلماء، وخضعت أجيال من طلاب الجامعات في الغرب وأوروبا وكذلك الولايات المتحدة لتأثير هذه النظرة، والوضعية. والمشكلة الأكثر جوهرية في الوضعية، كما لاحظنا في محاضرة أخرى، هي أنها لا تستطيع تلبية مطالبها الخاصة.

إذا كان الأمر كذلك، فإن أي اعتقاد لا يمكن أن يكون محترمًا ومبررًا عقليًا إلا إذا كان من الممكن إثباته أو إثباته تجريبيًا، فإن هذا المبدأ نفسه لا يمكن إثباته أو إثباته تجريبيًا. إن مبدأ التحقق هذا ليس شيئًا يمكنك تأكيده علميًا. لذا، فهو يفشل في اختبار نفسه.

إن هذا الرأي ينفي نفسه. فإذا كانت الوضعية صحيحة، فإننا نحتاج إلى رفض الوضعية باعتبارها ذات معنى معرفي، وأنها أطروحة لا معنى لها معرفيًا وفقًا لمعاييرها الخاصة. ولكن مرة أخرى، كان لهذه العقلية والتوجه الوضعي تأثير كبير، وقد أثر على عدد من المفكرين في الأربعينيات والخمسينيات والستينيات، الذين أصبحوا بعد ذلك أكثر تشككًا في أي نوع من ادعاءات الدين، وخاصة الإيمان بالله.

لقد أصبح الإلحاد واللاأدرية والتشكك الديني التوجه الافتراضي. ومع أنطوني فلو، في الخمسينيات والستينيات والسبعينيات، والذي دافع عن افتراض الإلحاد، أصبح هذا الموقف الافتراضي إلى حد ما بالنسبة لأولئك الذين كانوا فلاسفة دينيين محترمين، أن يبدأوا بعقلية أو توجه إيجابي. لذا، بحلول عام 1966، أود أن أقول في مايو/أيار من عام 1966، كانت هناك قصة غلاف لمجلة تايم

وفي معرض حديثه عن موت الله في الأكاديمية، قال الغلاف: هل مات الله؟ كانت القصص عن صعود الإلحاد وزوال المعتقد الديني بين العلماء والوضعية، وتأثير فلو كذلك، هائلة في هذا الصدد. في ذلك الوقت بالتحديد، كما اتضح، في المكتب المتواضع لأحد العلماء في كلية كاليفرن، ربما كان في جامعة ولاية وين في ذلك الوقت، كان ألفين بلانتينجا يكتب كتابًا يتناول هذه القضية، على وجه التحديد، هل تحتاج إلى أدلة لتبرير إيمانك بالله حتى يكون محترمًا عقلاً، حتى تتمكن من الوفاء بالتزاماتك الفكرية؟ نُشر هذا الكتاب في النهاية تحت عنوان "الله والعقول الأخرى". واستنتاج بلانتينجا هو أنك لست بحاجة إلى تقديم حجج وأدلة صارمة لتبرير إيمانك بالله.

وهكذا، طور هذه الأطروحة بطرق مهمة للغاية على مدى عقود من الزمن، وبلغت ذروتها في هذه الثلاثية من الكتب المسماة ثلاثية الضمان، التي نشرتها دار نشر جامعة أكسفورد في التسعينيات والمجلد الثالث في عام 2000 حيث طور نظرية معرفية كاملة أصبحت تُعرف باسم نظرية المعرفة الإصلاحية. لذا سأقوم بتوضيح، 2000 الموضوعات الرئيسية في نظرية المعرفة الإصلاحية، وسيوضح مدى اختلافها عن طرق التفكير في المعتقد الديني وما يعنيه أن تكون مؤمناً عقلاً بالله، والتي هي شائعة في أوساط أخرى. لذا يزعم علماء نظرية المعرفة الإصلاحيون، بما في ذلك بلانتينجا، أن اللاهوت الطبيعي ليس مفيداً جداً

، إن الحجج المؤيدة لوجود الله محدودة، وقد ظل آخرون، كما تعلمون، في التقليد الاعتدالي الافتراضي يؤكدون على هذه النقطة لسنوات عديدة، مؤكداً على أن الخطيئة البشرية تشكل نوعاً من العوائق من حيث الاقتناع الحقيقي بالأدلة على وجود الله. ولكن هناك أسباب أخرى أيضاً يسلط بلانتينجا الضوء على سبب عدم فائدة اللاهوت الطبيعي، أو على الأقل محدوديته من حيث فائدته. لذا، فهو يعتقد أن وجهة نظر أكثر تواضعاً بشأن آفاق اللاهوت الطبيعي مناسبة

ولكن لا بأس بذلك لأن المؤمن الديني لا يحتاج إلى مبررات أو حجج مقنعة لدعم أو تأسيس إيمانه بالله. فالمؤمن يستطيع أن يفترض منذ البداية أن الله موجود. لذا يقترح ألفين بلانتينجا أن الإيمان بالله هو في الواقع أمر أساسي، وهذه أطروحة مركزية في نظرية المعرفة الإصلاحية التي يتبناها، وهي أن الإيمان بالله هو أمر أساسي

وسنتحدث أكثر عن ما يعنيه هنا، ولكن مرة أخرى، هذا هو نوع المصطلح الذي ينقل أننا نستطيع أن نبدأ بالإيمان بالله. الإيمان بالله ليس شيئاً يحتاج إلى الاعتماد عليه أو الاستدلال عليه من معتقدات أخرى. هذا الإيمان بالله يرتكز على الخبرة، تجارب معينة لدينا عن العالم

وأنت تعلم أن الإيمان بالله لا ينشأ فجأة من العدم، بل إنه يرتكز على تجارب نمر بها. والإيمان بالله يبرره الأداء السليم لقدراتنا المعرفية. وهو يزعم أنه عندما تعمل قدراتنا المعرفية على النحو السليم، فإن الإيمان بالله سوف ينشأ

ولكن يتعين علينا أن نختبر قدرًا معيناً من الخلاص المعرفي لاستعادة الوظيفة المعرفية السليمة فيما يتصل بالمعتقدات المتعلقة بالله. ونحن في احتياج إلى مساعدة الله هنا. ومع ذلك، فقد قدم الله هذه المساعدة في البداية في ما يسميه جون كاليفرن "الحس". "الإلهية"، أو الحس الطبيعي أو الوعي بالله

ولكن بسبب تأثير الخطيئة على العقل والوظيفة الإدراكية، هناك للأسف نوع من الميل إلى الابتعاد عن الإيمان بالله بسبب خطيئتنا، أو على الأقل المساس بذلك. لذا، فنحن بحاجة إلى مساعدة إلهية خاصة لاستعادة الوظيفة الإدراكية السليمة التي ربما فقدناها بسبب خطيئتنا. لذا، يمكنك أن ترى لماذا يُطلق على هذا نظرية المعرفة الإصلاحية

إنك تؤكد بشدة على الخطيئة البشرية والحاجة إلى أن يتدخل الله في عقولنا ليجعلنا نتجه نحو الله في اتجاه معرفي سليم. لذا فإن الادعاء الرئيسي والأكثر إثارة للجدل هنا هو الاعتقاد بأن الله أو فكرة الإيمان بالله هي الأساس الصحيح. ولكن لماذا يجب أن نصدق أن هذا هو الأساس الصحيح؟ إن الأساس الصحيح هو الذي لا يتم قبوله على أساس معتقدات أخرى

هذه هي الفكرة الأساسية هنا فيما يتعلق بالأساسيات الصحيحة للاعتقادات. مرة أخرى، لا يعني هذا أن الاعتقادات لا تستند إلى شيء ما. إن معتقداتنا تستند إلى معتقدات حول الله، وبشكل خاص، تستند إلى الخبرة، ولكنها لا تستند أو على الأقل لا تحتاج إلى الاستدلال عليها من معتقدات أخرى

ولكن بلانتيجا يطور هذا التوجه برمته، بدءاً بنقد الأسس الكلاسيكية، وهي نظرية معرفية. نظرية حول المعرفة، نظرية حول كيفية عمل البنية المعرفية أو نظام المعتقدات لدى الشخص أو كيف ينبغي أن يعمل وكيف ينبغي أن ترتبط معتقداتنا ببعضها البعض في بنيتنا المعرفية. لذا فإن الأسس الكلاسيكية تقول أولاً إن معتقدات المرء لها أساس، وأن هذا الأساس يتألف من معتقدات أساسية، تلك التي لا يتم قبولها على أساس معتقدات أخرى، وكل المعتقدات غير الأساسية مبررة في نهاية المطاف بالمعتقدات الأساسية

حتى الآن، هذا نوع من التأسيسية العامة، مجرد فكرة مفادها أن لديك معتقدات أساسية تؤدي إلى أو نستنتج منها معتقدات أخرى، وأن هناك معتقدات معينة لا تستند إلى معتقدات أخرى. أي مؤسسي سيؤكد ذلك لكن ما يجعل التأسيسية الكلاسيكية هي هذه الفكرة التي مفادها أن المعتقد الأساسي أو التأسيسي الصحيح يجب أن يتمتع بإحدى الخصائص التالية. يجب أن يكون إما بديهياً، أو واضحاً للحواس، أو مؤكداً أو غير قابل للإصلاح، بحيث لا توجد طريقة يمكن أن يكون خاطئاً

إن المعتقدات الأساسية الملائمة فقط هي تلك التي تكون بديهية، واضحة للحواس، أو غير قابلة للإصلاح، أو غير قابلة للإصلاح منطقياً، وهذا مطلب كبير عندما يتعلق الأمر بالأساسيات الصحيحة، وهذا هو بالضبط المكان الذي يقدم فيه بلانتيجا نقده. إنه يرفض النقطة الثالثة التي مفادها أن المعتقدات الأساسية المناسبة يجب أن تتمتع بإحدى هذه الصفات. المشكلة هنا هي أنه إذا تبيننا هذا الرأي القائل بأن المعتقدات الأساسية المناسبة يجب أن تكون بديهية، وواضحة للحواس، أو غير قابلة للإصلاح، فسوف يستبعد ذلك جميع أنواع المعتقدات

، إن هذا لن يفسر لنا المعتقدات التي نؤمن بها والتي تقول إن الأشياء المادية تبقى حتى عندما لا ننظر إليها، وأن هناك عقولاً أخرى غير عقولنا، وأن العالم موجود منذ أكثر من خمس دقائق، وليس أنه قد خُلِق مع مرور الزمن وزرع الذكريات فينا. وحتى الاعتقاد بأنني تناولت الإفطار هذا الصباح والمعتقدات المرتبطة بالذاكرة هي معتقدات أساسية للغاية. فنحن جميعاً نؤمن بهذه الأشياء

ستكون مجنوناً إن لم تفعل ذلك، لكن لا يمكنك إثبات هذه الأشياء بأي نوع من الأدلة أو الحجج. لا يمكنك إثبات صحة هذه الأشياء بشكل قاطع. نحن نعتبرها أساسية

إن النقطة هنا هي أن هذه المبادئ الأساسية، ولكنها لا يمكن استنتاجها من معتقدات أخرى. لذا، فهذه علامة واضحة على أن بلانتيجا يشير إلى أننا بحاجة إلى تخفيف معاييرنا للأساسيات الصحيحة وبالتأكيد لا نصر

على أن تكون غير قابلة للإصلاح، أو واضحة دائماً للحواس، أو بديهية. هذا ليس صحيحاً بالنسبة لأي من هذه الأشياء.

إذن، هذه مشكلة رئيسية في التأسيسية الكلاسيكية. ومشكلة أخرى هي أنها لا تلي معيارها الخاص للأساسية الصحيحة. وهنا ننتقل إلى معيار آخر يدحض نفسه

، وبما أن التأسيسية الكلاسيكية ذاتها، ومطالبها بالأساسية الصحيحة على وجه التحديد، ليست بديهية بذاتها. وليست واضحة للحواس، وبالتأكيد ليست غير قابلة للإصلاح منطقيًا، فإنها تفشل في تلبية معيارها الخاص وهذا يشبه إلى حد ما مبدأ التحقق والوضعية المنطقية. لذا، فهو لم يكن أول من انتقد التأسيسية الكلاسيكية، لكنه ربما كان هو الشخص الذي وجه الضربة الحاسمة ضد هذه النظرية المعرفية الخاصة

إذًا، إذا رفضنا المبادئ الأساسية الكلاسيكية، فماذا يتبقى لنا؟ حسنًا، كما تعلمون، نحن بحاجة إلى أن نتحلى بنظرة أكثر سخاءً إلى ما قد يعد اعتقاداً أساسياً صحيحاً. وإذا كنا سنقبل باعتقادات أساسية صحيحة، فإن اعتقاداتنا التي تشكل اعتقادات أساسية في الذاكرة، فضلاً عن اعتقادنا بأن الآخرين لديهم عقول، صحيح وهو ما لم يثبت قط. وأفضل الحجج التي تؤيد ذلك سيئة للغاية

ثم يتعين علينا أن ندرج أيضًا، حتى نكون متسقين، الإيمان بالله. الإيمان بالله، وخاصة أنه يركز على العديد من التجارب البشرية. لذا، لا يحتاج المرء إلى تبرير إيمانه بالله بالأدلة أو المعتقدات الأخرى

إننا نتمتع بحقوقنا الفكرية في أن نبدأ بالإيمان بالله. وهذه هي الفكرة هنا في الإيمان بالله والاعتقاد بأن الله هو الأساس الصحيح. وبالمناسبة، لا يتعلق الأمر فقط بالإيمان، أو الاعتقاد المجرد بوجود إله أساسي، بل يتعلق أيضًا بأشياء مثل أن الله راضٍ عني، أو أن الله يحبني، أو أن الله يريدني أن أحب الناس بشكل أفضل، أو أن الله غير راضٍ عن بعض التعليقات التي أدليت بها والتي كانت مؤذية لشخص ما، أو أن الله غير راضٍ أو غير راضٍ عما فعلته

إن مثل هذه الأمور أساسية أيضًا. فهي لا تتعلق فقط بالإيمان بالله. وبالتالي، فهي تتوازي مع العديد من المعتقدات الأساسية الأخرى التي نؤمن بها

إن هذا الاعتقاد الأساسي في الله، بما في ذلك ما تحدثنا عنه في سياق آخر، هو اعتقادات أساسية في موثوقية الإدراك الحسي بشكل عام، ووجود العالم الخارجي، وقانون السببية، وتجانس الطبيعة، ووجود عقول أخرى وسأشرح باختصار لماذا أضع وجود العالم الخارجي في هذه القائمة، أليس من الواضح من حواسي أن هناك عالمًا خارجيًا؟ حسنًا، ربما يكون الافتراض الأكثر واقعية هو أنني أدرك وجود عالم خارجي أو حتى أنني مستيقظ الآن ولا أحلم. ومرة أخرى، هذا ليس شيئًا يمكنك إثباته فلسفيًا أو علميًا دون افتراضات مهمة. تشكل، مرة أخرى، مواد إيمانية

لذا، فإن هذا الأمر مرتبط إلى حد ما بالافتراض الذي نفترضه فيما يتصل بالموثوقية العامة للإدراك الحسي ومع ذلك، فإن الاعتقادات حول السببية وتجانس الطبيعة هي اعتقادات أساسية في حد ذاتها. وأردت أن أسلط الضوء على العنصر الأخير في هذه القائمة فيما يتصل بوجود عقول أخرى

هذا شيء نفترضه جميعًا كل يوم، إذا كنا عاقلين، فيما يتعلق بجميع الأشخاص الذين نتفاعل معهم طوال أي يوم معين، أن الأشخاص الآخرين لديهم معتقداتهم وأفكارهم ومشاعرهم الخاصة، تمامًا مثلنا. على الرغم من أن هذا شيء نؤمن به جميعًا ويجب أن نؤمن به، إلا أنه شيء لا يمكننا إثباته أو إثباته أن هناك عقولاً حقيقية وراء الوجوه التي نلتقي بها ونتفاعل معها. لذا، فإن التوازي هنا بين العقول الأخرى داخل الأجساد البشرية التي نواجهها كل يوم والعقل وراء العالم هو تشابه مهم

وهذا ما يبدو أن بلانتينجا يقصده عندما أطلق على كتابه، وهو أول كتاب ألفه حول هذا الموضوع، "الله والعقول الأخرى". فالله هو العقل الذي يحرك الكون. وكما أجد مبرراً منطقياً للاعتقاد بطريقة أساسية سليمة بأن البشر الآخرين لديهم عقول، فإنني على نحو مماثل، ومن خلال القياس، أتمتع بحقي الفكري في الاعتقاد بأن هناك عقلاً يحرك الكون وأني أبدأ من هناك بطريقة أساسية سليمة

لذا، قد تقول إن الله ليس سوى عقل آخر نؤمن به إيماناً أساسياً صحيحاً، ولا يختلف بأي حال من الأحوال، عن العقول البشرية الأخرى التي نصادفها ونؤمن بها. بطبيعة الحال، فهو فريد من نوعه لأنه العقل اللانهائي الحكيم، التقدير، الخير الذي يقف وراء الكون ككل، وليس مجرد جسد بشري معين. لذا، فيما يتعلق بالله والعقول الأخرى، لدينا معتقدات أساسية صحيحة وفقاً لبلانتينجا وغيره من علماء المعرفة الإصلاحيين

لقد تعرض بلانتينجا لانتقادات شديدة على مدى عقود عديدة. وهناك قدر كبير من المقاومة لأفكاره هنا، كما يمكنك أن تتخيل، وخاصة عندما اقترح هذه الرؤية لأول مرة في الستينيات ثم في السبعينيات، حيث طور هذه الأفكار. وهناك قدر كبير من المقاومة، والكثير من الانتقادات لأنه كان يضع فأسه على جذر الشجرة. ويتحدى بعض الافتراضات الأساسية الكلاسيكية والآثار المتبقية للوضعية المنطقية

لذا، من بين الاعتراضات التي وجهت إلى نظرية المعرفة الإصلاحية التي تبناها بلانتينجا، اعتراض مفاده أن نهجه برمته سيجعل الاعتقاد الأساسي الصحيح تعسفياً، وأن الناس يمكنهم أن يؤمنوا بأي شيء يريدونه بطريقة أساسية، وأن هذا يفتح الباب على مصراعيه للاعتقاد غير المسؤول. ورد بلانتينجا هنا على أنه قد يكون من الصعب جداً وضع معيار للأساسية الصحيحة، ولكن في الحقيقة، لا يقع عليه عبء تقديم ذلك لأنه لم يتمكن أي شخص آخر من تقديمه بشكل أفضل. إذن، لماذا يتحمل عبء الإثبات لتقديمه؟ فقط لأنه حدد المشاكل في التأسيسية الكلاسيكية

لا شك أنه يدعو إلى تطوير بعض المعايير الجيدة هناك، ولكن مجرد صعوبة تحديدها لا يعني أن أي شيء، جائز من حيث الأساس الصحيح للمعتقدات. ثم هناك اعتراض آخر، ما يسمى باعتراض اليقطين العظيم وهو المثال الذي يستخدمه بلانتينجا. إذا كان الإيمان بالله أساسياً حقاً، فلماذا لا نؤمن بأشياء غريبة مثل حيث يأتي هذا اليقطين العظيم ويمنح، لا، Peanuts اليقطين العظيم؟ إنه إشارة إلى الرسوم المتحركة. أعرف، هدايا للفتيات والفتيان الصغار

لا أدري حتى إن كنت أفهم كل هذه الأسطورة الكرتونية، ولكن هذا مجرد مثال على اعتقاد غريب. إذن، ألا تدعو وجهة نظر بلانتينجا إلى مثل هذه الاعتقادات المجنونة؟ أعتقد أنه يلاحظ بحكمة وبشكل مناسب وبالتأكيد من منظور لاهوتي إصلاحي، أن الفارق الكبير بين الإيمان بالله واليقطينة العظيمة هو أننا نميل بطبيعتنا إلى الإيمان بالله. لا يوجد ميل طبيعي إلى الإيمان باليقطينة العظيمة، أو وحش السباغيتي الطائر، أو أي عدد من الأفكار التي تم طرحها لمحاولة السخرية من الإيمان بالله

إننا نملك تعداداً إلهياً. ولدينا ميل طبيعي إلى الإيمان بقوة أعلى. ومهما كانت الأسماء التي قد يطلقها الناس على هذه القوة في تقاليدهم وثقافتهم المختلفة، فإن هناك ميلاً طبيعياً يفسر لماذا يؤمن أكثر من 90% من البشر، ويؤمنون دائماً، بقوة أعلى

لذا، لا ينبغي لنا أن نقلق بشأن إيمان الناس حرفياً بكيانات غريبة تماماً مثل اليقطين الكبير أو وحش السباغيتي الطائر. وهكذا، يرد بلانتينجا على هذه الاعتراضات، وإلى يومنا هذا، تحظى نظرية المعرفة الإصلاحية باحترام كبير وتناقش كثيراً. التوجه المعرفي، الذي أعتقد أنه مفيد ومشجع للغاية لأولئك منا الذين لديهم معتقدات دينية، ويوضح لماذا من حقنا الفكري تماماً أن نؤمن بالله، حتى لو لم يكن لدينا حجج يمكننا تقديمها للدفاع عن هذا الاعتقاد

يمكننا أن نبدأ بالإيمان بالله، وهو أمر محترم تمامًا من وجهة نظر عقلانية.

هذا هو الدكتور جيمس سبيجل في تعليمه عن فلسفة الدين. هذه هي الجلسة الثامنة، نظرية المعرفة الإصلاحية.